كيف طارت منى أكسفورد

تركت دارى منقبض النفس تملكنى حَيْرة . . . علىّ أن أدبِّج الساعة مقالاً أشتغل به المكان المخصص لى فى الصحيفة الأسبوعية التى أعمل بها ، وكنت أحس كأن رأسى قد أجدب ، وأن جعبتى قد خوت . . . وسرت فى الطريق قاصداً مقر الصحيفة ، وأنا أتمثل رئيس التحرير ومساعديه ، كأنهم زبانية ينتظرون مَقْدَمى ليُلقوا بى فى قاع جهنم . . . ومررت عفواً بـ « بار الفؤاد » ملتقى الطبقة الراقية من مَراة أمس الدابر ، والطبقة غير الراقية من أثرياء الحرب المحدثين . . . فتلكأت أتطلع إلى الوجوه فإذا بى أتبين بينها وجه صديق عاطف بك فألفيت قَدَمىّ تقودانى إليه ، فلما رآنى هش لى وبش ، ودعانى إلى مجلسه ، فقلت وأنا أهزّ يده محييا :

سأمكث معك لحظاتٍ قليلةً أستمتع فيها بك ، فإنى مرتبط بموعد لا بد لى من المضى إليه .

فقرَّب منى مقعداً ، وقال :

— اجلس نثرثر وقتاً ، ونعرفُ ما عندك من جديد الأخبار .

وسرعان ما طلب إلى غلام الحانة أن يحضر لى كأساً من الويسكى . . . وبعد هنيهة وجدت عاطف بك يقدم لى شخصاً عن كَثَب منه قائلا :

— سعادة عبد المولى بك السيوطى .

فانتبهت ، فألفيت شخصاً ضخم الجثة ، سمين الرقبة كأنها جذع شجرة ، يتناثر شاربه على جوانب فمه غزيراً مهوشاً كأنه الحسكُ الشائك . فأما وجهه فكان مفرطحاً قانىَ الحمرة يمثل فى ملامحه الشوهاء أحدَ تلك الوجوه المفزِّعة التى تتخذ فى محافل التنكر .

وسمعت صديق يقدمنى إليه قائلا :

— أخونا الأستاذ غندور ، صحفى كبير . . .

فما كاد يبلغ سمع جليسنا السيوطى كلمة « صحفى » حتى تقلقلت أركانه فى مجلسه ، ورمق صديقى بنظرةٍ نكراء ، وصاح مُغضباً متحشرج الصـوت :

— ألم أحرّم عليك أن تعرّفنى بهذا الصِّنف من مخلوقات الله ؟

فتضاحك الصديق ملءَ شدقيه ، وقال :

— أخونا غندور صحفى حقًّا ، ولـكنه ليس طويل اللسان !

فصحت على الأثر :

— كيف واللسان بِضاعتى ورأس مالى ؟

وأقبلت على السيوطى الثائر أقول :

— إنى أضع خبرتى رهن مشيئتك !

فلملم السيوطى أنحاء جسمه على مقعده وانفرجت أساريره شيئاً ، وقال فى غمغمة :

— يغنينا الله عن خدماتك .

وقَدِمَ غلام الحانة بالويسكى ، فجرعت من الـكأس جرعة وافية وأنا أقول للسيوطى :

— على أية حال لا أتأخر عن خدمتك عند الحاجة . . . واطمئن الآن ، فلن تضيقَ بمجلسى طويلا . . . لقد أزف موعدى .

وتناولت الـكأس فجرعت منه أيضـاً ، وأحسست نزعة إلى معاتبة وجيه أسيوط ، باتخاذ تلك اللجاجة الأصلية فى نفوسنا نحن رعايا صاحبة الجلالة الصحافة ، فواجهته بابتسامة مصنوعة ، وقلت :

— سعادة البك يكره الصحفيين .

فتجشأ بقوله :

— أكرههم كراهة الموت !

— أليس ثمة من سبب ؟

— بسبب أو بلاسبب . . . إنى أكرههم لله فى الله . . . أنا حرٌّ فيما احب وما أكره !

— إنى صحفى ويحق لى أن أعرِفَ سبب كرهك لزملائى فى المهنة . . . ربما استطعت تحويلك عن رأيك .

— هيهات !

وملأ من قِنِّينة البراندى أمامه كأساً ، فقذف فى فمه بما فيها دفعة واحدة ، وراح يمسح شاربه المنتفش ، ويبذل جهد الطاقة فى إخضاع شُعَبه الشائكة . ثم ملأ كأساً أخرى قذف بما فيها كما فعل بالكأس الأولى ، فازداد احتقان ذلك الوجه الشائه ، واتقدت جذوتا عينيه . ورأيت صديقى عاطف بك يضرب كَتِفَ السيوطى مداعباً وهو يقول فى إلحاح :

— ناشدتك الله إلا أخبرتنا لِمَ تكره رجال الصحافة ؟

فتراخى وجيه أسيوط على كرسيه ، فأحسست كأن ضخامته تفيض متدفقة على جوانب المَقْعَد ، وقال فى غير مبالاة :

— إنها لحادثة قديمة وقعتْ منذ خمسة وعشرين عاماً ، فى أعقاب الحرب العالمية السابقة . . .

فقلت له وأنا أنظر إلى الكأس متشاغلا بما فى قرارتها :

— لقد مضتْ حِقبة طويلة تغير فيها كل شىء يا سعادة البك حتى الصحفيون . . . إن طراز سنة ١٩٢٠ قد حل محله الآن طراز أرقى وأحسن . . . أهم مايمتاز به طراز سنة ١٩٤٦ هو السرعة والأمانة ، وحفظ العهد ، وصيانة الأسرار .

والتفش شاربُ السيوطى ، فأخذ يقرض أطرافه بأسنانه الصفراء النخرة . وقال :

— أتقول حقاً ؟ إن صديقى الصحفى الذى وقعتْ لى معه تلك الواقعة لم يكن حائزاً لأية صفة من هذه الصفات التى تذكرها الآن . . . لا حيَّا الله ذكراه !

فقال له صديقى عاطف بك :

— بالله عليك أخبرنا ، ماذا كان موقف هذا الصحفى منك ؟ . . .

والتفت إلىّ قائلا :

— إن عبد المولى بك محدث خلاب الحديث ساحر الدُّعابة سلس الكلام ، قلّ ان يكون له فى هذا الباب نظير . . .

فتضاحك وجيه أسيوط تضاحكا اهتز له كرشُه وتَرَجَّح . ثم ملأ من قِنِّينَةِ البراندى كأسه ، وصبها فى فمه ، ثم تمكّن فى مجلسه ، وقال فى تعالٍ وهو يمط ألفاظه مطّا :

— إليكما قصتى . . . وإنى أدع لك أيها الصحفى أن تحكم على زميلك بما يمليه عليك ضميرك . . .

كنت وقتئذ طالباً فى مدرسة المروءة الثانوية بالقاهرة أعيش فى مَثْوى « بنسيون » عيشاً هادئاً لا غبار عليه . وكان والدى يعيش فى أسيوط يدير أعماله وأملاكه . وقد وعدنى إذا نلت الشهادة الثانوية وحسن سلوكى أن يرسلنى إلى أكسفورد لإتمام دراستى هنالك ، فحرصت على أن أنال رضاه لأحقق حلمى الكبير فى الارتحال إلى انجلترا والاستمتاع بما فيها من مجالى الحياة الرفيعة والعيش البهيج ، فأقبلت على دروسى وسلكت مسلك الاستقامة ، ولكنى بليت بصداقة شخص صحفى من أمثالك ، غرنى ما أبداه لى من مودة وصفاء ، فتمكنت بيننا الألفة ، وتلازمنا نقضى معاً بعض السهرات . ولما كان الراتب الذى يبعث إلىّ به أبى كل شهر محدوداً كما هو الشأن مع الطلاب ، فقد توافقنا أنا وهذا الشخص الصحفى على أن نتناوب الإنفاق فى ليالى السهر . . . ولبثنا على تلك الحال قريرى العين ناعمى البال ، حتى حدث أصيل يوم أن كنت أقطع شارع توفيق فإذا بى أرى صديقى الصحفى يواجهنى ، وبعد ان تطارحنا التحيات قال لى :

— إلى أين ؟

— إلى مثواى : البنسيون . .

— هكذا مبكراً ؟

— بى صداع . . . أرغب فى الراحة .

— وأنا أيضاً بى مثل ما بك . . . تعال نشرب كأساً تشفينا من الصداع . لن أؤخرك عن الاستمتاع براحتك . . . إنهم ينتظرونني فى الصحيفة لأكتب لهم مقالى . . .

وطرقنا أول حانة مررنا بها فى الطريق ، وكانت الحانات قد تكاثرت فى ذلك الزمن كما تكاثرت فى هذه السنوات . . . وانتحينا جانباً ، وكان بالحانة بعض نفر من رجال الجيش الأجانب لم يعيرونا أى اهتمام . . . وشربنا كأساً بعد كأس ، ونحن نتجاذب أطراف الأحاديث . ولما حان وقت دفع الحساب ألفيت صديقى يتلكأ ويتغاضى ، فقلت له :

— ألم يحن وقت الانصراف ؟

— كما تحب . . .

— ولكن . . . الحساب ؟

— الحساب ؟ . . . عليك أن تدفع هذه المرة !

فصحت به وأنا واثق مما أقول :

— بل عليك أنت . . .

— أؤكد لك . . . أن . . .

— إنك تغالط . . .

— بل أنت المغالط . . .

ونهضنا ، كلانا يرمق صاحبه كما تترامى الديكة بنظراتها ، وهى على اهبة العراك !

ومكثنا كذلك لحظة ، ثم صاح صديقى :

— نحن مختلفان . . . فليكن الحكم للقرعة !

وكنا نلجأ إلى هذا الأسلوب كلما نشب بيننا الخلاف على مثل تلك الحال . فأجرينا القرعة ، فكانت الواقعة على الصديق ، فأخذ يهرش رأسه وقال متلعثما :

— أرجو أن تدفع هذه المرة عنى . . . وسيكون ديناً علىّ . . .

فحدقت فيه محنقاً أدمدم ، فبادرنى بقوله :

— حقيقة الأمر أنه ليس معى نقود . . . إنى راجع من سباق الخيل حيث سلبنى الحصان « كحيان » كل ما ملكت يداى . . . أقسم لك على ذلك !

فجحظت عيناى ، وقلت صائحاً :

— وأنا أيضاً ليس معى نقود . . . أقسم لك على ذلك !

— كيف ؟ أخسرت مثلى نقودك فى حلبة السباق !

فخفضت من بصرى ، وهرشت رأسى هامساً :

— بل فى حلبة سباق آخر . . . فى منزل صاحبتك الست نعمات !

فانفجر صديقى يقهقه وهو يقول :

— لم تخسر شيئاً وحق السماء ، وإنما ربحت كل شىء !

— لا يحتمل الموقف أى مزاح . . . ألسنا فى ورطة ؟ ما العمل ؟

فقال عابثاً بكلماته :

— أية ورطة ؟ لا شىء !

— إن الأمر جد . . .

— المسألة هينة يا صديق . . . إنها لا تخرج عن شيئين : إما أن نأكل « علقة » من صاحب الحانة وبطانته ، وإما أن نقضى ليلة على الأسفلت فى قسم البوليس . . . وإذا أسعدنا الحظ نعمنا بالأمرين معاً !

وأخذت تتوارد فى خاطرى مشاهد مختلفة : هراوة صاحب الحانة ، رجال الشرطة ، الأسفلت ، وجه والدى العبوس يزفر ويصيح بجملته المعهودة :

— لن تفلح أبداً . . . أحلق شاربى إذا أفلحت !

فصحت مضطرباً واجفاً :

— كلا . . . كلا . . .

وضرب صديق المنضدة بيده ، ورفع هامته يقول :

— وجدت لمشكلتك حلا . . .

— علىّ به . . . أدركنى . . .

فحدق فى وجهى وقال .

— أن نعاود الشراب فى إسراف !

فرفعت يدى كأنى أهم بلكمه ، فأنزل يدى فى هدوء ، وقال :

— لا تيئس . . . فرج الله قريب !

وسمعته ينادى غلام الحانة طالباً كأساً بعده كأس ، ولما ألفانى صامتاً لا أمد إلى كأسى يداً وكزنى فى جنبى ، وقال :

— إن سلوكك هذا لن يغير من الموقف شيئاً . . . العلقة تنتظرنا . . . والأسفلت مُعَدٌّ لاستقبالنا . . . فلماذا تحرم نفسك الاستمتاع بهذه الفرصة الذهبية ؟

فسرت القشعريرة فى جسدى ، وتراءى لى شارب والدى يتراقص غضباً على شفتيه الغليظتين . ودفع صديق بالكأس فى يدى وهو يقول :

— إشرب . . . اشرب . . . لك الساعة التى أنت فيها . . . !

فصببت الكأس فى فى دفعة واحدة ، وانطلقنا نشرب دون وعى ، وإذ بنا نتداول احاديث لا نلوى على شىء ، فأسمعنى صديق الكثير من النوادر والحكايات والنكات ، ورويت له أنا أشتاتاً من حوادث وقعت لى أو لبعض أهلى ما ظهر منها وما بطن . . . وتعالت ضحكاتنا ونحن لا نرعى للوقت حساباً

وبدأ غلام الحانة يحوم حولنا ، وهو يقلب فينا نظر المستريب ، فكنا نزجّيه عنا كل مرة بمطلب جديد . . . ولمحنا نحن بعض جيراننا من رواد الحانة يتمايلون على المقاعد لا يعون . فهمس صديقى فى أذنى :

— لو كنت ممن منحهم الله خفة اليد وجرأة النفس لنشلت محفظة ذلك الضابط تنتشلنا من هذه الورطة التى نعانيها . . . إن اللص لجدير بالتمجيد فى مثل هذا الموقف ! . . . إنه بطل !

واندفع يتحدث فى فلسفة السرقة ، وما يمتاز به اللص من جسارة جديرة بالإكبار . . . فضربت كتفه بيدى ، وقلت :

— لا تلق للأمر بالا . . . فرج الله قريب !

واستأنفنا الضحك والقهقهة وتبادل النكات والنوادر وأخلاط الأحاديث . واسترعت انتباه صديقى حكاية كنت أرويها له ، فجعل يستزيدنى ويستوضحنى فى شأنها ، فلم أبخل عليه بشئ من خفاياها ، ورأيته ينهض وهو يقول لى :

تأذن لى أن أخلوَ بنفسى ربع ساعة إلى تلك المنضدة القريبة ؟

— ولِمَ ؟

— أرغب فى كتابة مقال الأسبوع هذه اللحظة !

— ما هذا الخلط ؟ أهذا وقته ؟

— لقد هبط علىَّ الوحى ، ولا سبيل إلى العصيان !

فاندفعت أسفّه وحيه متهكماً وقام صديقى وهو يقول :

— إذا استطعت أن أذهب بالمقالة الآن إلى إدارة الصحيفة نفحونى ثمنها فوراً . . . وفى ذلك انفراج الأزمة !

وانتقل صديقى إلى المنضدة القريبة ، وشرع يجرى قلمه ، وكنت أرقبه مهتما وغلام الحانة يكثر من تحويمه حولنا ومحاصرته إيانا بالنظر الشزر . . .

وبعد فترة رجع صديقى إلى ، وقال :

— أحسب أنى دبجت قطعة طريفة أثاب عليها . . . ولكن عليك أن تساهم فى عملى . . .

— أنا ؟

— أنت ! . . . ليس عليك إلا أن توقع فى ذيل هذا المقال بالجملة الآتية : « أدليت بهذه المعلومات بمحض اختيارى ولا مانع عندى من نشرها » .

— فقط ؟

— فقط !

وتناولت ثمالة الكأس ، ثم أسرعت إلى القلم فأجريته بتلك الجملة التى أملاها علىَّ وأنا أبعث بالضحكات تتوالى ، دون أن أقرأ من المقالة أى حرف . . .

واندفع صديقى صوب الباب مهرولا ، فأمسكت بطرف سترته ، وقد لمحت فى رأسى فكرة راعتنى . فقلت له :

— أما إذا كانت هذه حيلة للهرب تتركنى بها أنام على الأسفلت وحيداً .

فقاطعنى وقد رفع هامته فى عزة وأنفة بقوله :

— أقسم بشرفى لأعودن إليك بالنقود ، أو لأشاركنك فى مرقدك الوثير على الأسفلت !

ومرق كالسهم ، وعدت إلى مجلسى وقد اشتدت رقابة الغلام لى ، فأخذ يسارُّ صاحب الحانة ، ويُشغِلا معاً بأمرى ، وضربا علىَّ نطاقاً من حصار منيع . . . وأخذ رواد الحانة ينصرفون حتى خلا منهم المكان . . . وبدأ الوقت يتثاقل فى سيره وأنا أتكلف ضبط النفس وأتظاهر بعدم المبالاة . . . يا لها من لحظات رازحة فادحة أطارت ما فى رأسى من نشوة الخمر . . . وتكاثر الرقباء من أتباع الحانة يحيطون بى من كل ناحية ، واستحكم الحصار من كل جانب . . . وأخذ جبينى يتفصد عرقاً بارداً ، وبدأت الحلقة تتدانى إلىَّ وتضيق ، وشهدت صاحب الحانة يتقدم فى جرمه الهائل بخطاه الغليظة وفى يمناه هراوة يقرع بها الأرض . وسمعته يتحدث إلى أعوانه عالى الصوت كأنه يُسمعنى قوله :

— إن موعد إغلاق الحانة قد حل !

وتراءى لى الأسفلت يلتمع فى غمرة الظلام ، وقد تصاعدت من رطوبته الشديدة سحب كثيفة تكاد تحجب ما حولى من المشاهد . . . ولا أدرى ماذا مضى علىَّ من الوقت وأنا فى جلستى هذه ، وبغتة لمحت وجه صديقى يتخايل وسط هذه السحب الكثيفة وهو يلهث من الجهد والإعياء . . .

وتبددت السحب ، فإذا بى أجد صديقى جالساً على مقعده منتفخاً فى جلسته يصفق بيديه يطلب شراباً رفيعاً . . . وانطلق يتحدث فى لهجة طبيعية أحاديث تافهة . وجرع كل منا كأسه ، وصاحب الحانة وأتباعه ينظرون إلينا ذاهلين مشدوهين . . .

وأخرج صديقى محفظته فى كبرياء ، وصاح بالغلام صيحة خشنة :

— أين الحساب ؟ أسرع ، فليس لدينا وقت نضيعه فى الانتظار .

فهرول إليه الغلام برقعة الحساب ، فرمى له صديقى ببضع ورقات من فئة الجنيه . . . ولما رد إليه البقية قذف له بمنحة سخية ، ولم يحرم سائر الخدم من منح مناسبة . . . ونهض فتبعته على الأثر ، ومضى متثاقل المشية ، وأتباع الحانة يوسعون له الطريق ويومئون له بالتحية البالغة . وقد كنت أنا أثناء ذلك كله واجماً تعرونى الحيْرة .

وما كدنا نبلغ الشارع ، حتى وقف صديقى قبالتى ، وقال :

— لقد بقى من المبلغ الذى قبضته الساعة عشرة قروش . . . لك خمسة منها . . . ها كها . . .

فترامیت عليه أعانقه ، وأهتف بشكره . . .

ومر أسبوع لم ألق فيه الصديق ، وكدت أنسى ما كان ليلة الحانة . وعدت إلى المنزل ذات ليلة ، فإذا بى أجد برقية من والدى تنتظرنى ، وإذا هو يطلب إلىّ فيها أن أوافيه من فورى فى أسيوط ، فتكاثرت هواجسى واشتد قلقى ، ولعبت بى الظنون كل ملعب ، أُنزَلتْ بنا كارثة ؟ أفقدنا عزيزاً من الأسرة ؟

وفى ضحوة غد استقللتُ قطار الصعيد ، وقضيت ساعات السفر واجفاً مهموم الفؤاد . . . وما إن بلغت محطة أسيوط حتى هرعتُ إلى المنزل ، فلم يرعنى شىء . . . المنزل على حاله ، والأهل فى سلامة وخير ، وأخبرونى أن أبى فى حجرة مكتبه ينتظرنى ، فتشاءمت . . . لقد كانت حجرة المكتب فى عرف الأسرة كأنها قاعة المحاكمة لا يخلو فيها والدى بحبيس إلا ليحاسبه ويعاقبه . . . لقد كان والدى فى هذه الحجرة يحاكم الجانى ويحكم عليه وينفذ العقوبة فيه . وعند ما كنت أسمع قول أبى :

— هاتوا الولد إلى حجرة المكتب . . .

لا يبقى عندى ريب فى أنى واقع تحت طائلة العقاب !

ولكن ماذا حدث اليوم حتى يطلبنى إلى حجرة مكتبه بهذه البرقية ؟ أى أمر جلل حفزه ؟ لا أعرف لذلك علة ولا أذكر شيئاً وقع منى يستوجب المؤاخذة !

ولم أجد مناصاً من المضى إلى لقاء أبى فى حجرة القصاص ، وقد أخذت

أجنّد كل ما فى طوقى من أدب ولباقة وتظرف وابتسام . . . واقتحمت الباب ، ولكن نظرة واحدة أطلقها أبى فى وجهى دكت ما أعددته دكاً ولم تبق منه باقيـــة !

ووجدت قدمىّ تخطوان نحو قفص الاتهام فى غير تلكؤ ولا مراوغة ، وكان هذا القفص هو الركن الأيسر من المكتب ، ورأيت والدى — على عهده — يزحم كرسيه بجسمه الممتلئ . . . وبغتة جلجلت جملته الخالدة :

— لن تفلح أبداً . . . أحلق شاربى إن أفلحت !

وكان حين نطق هـذه الجملة ينتفض شاربه انتفاضاً بالغاً فى شكل بشع مرهوب . . . ولطالما تمنيت على الله من قبل أن أرى الحلاق وقد أطار ذلك الشارب العتىّ ، فأما فى هذه المرة فكنت أبتهل إلى الله أن أكون أنا ذلك الحلاق ! . . .

ودفع والدى إلىّ نسخةً من مجلة مصورة ، فرأيت فى الصفحة المبسوطة منها علامة غليظة بالمداد الأحمر ، وسمعته يقول :

— ما رأيك فى هذه النكتة اللطيفة ؟

وألقيت على الصحيفة نظرة خاطفة ، فتشابكت الصور والكلمات ، فلم أتبين منها أى شىء ، ولكنى قلت على الفور :

— نكتة لطيفة جداً . . .

وتصنعت الابتسام متظرفاً ، فأجابنى وهو يزأر بصوت محتبس :

— أتراها كذلك ؟

— ألم تقل حضرتك إنها نكتة لطيفة ؟

فضرب المكتب بيده ضربة كادت تهوى به ، وقال :

— غداً ستكون حبيساً فى القسم الداخلى من مدرسة أسيوط لا تبرحها إلا حين أريد . . . ولن أريد ! . . . أسمعت ؟ أفهمت ؟ . . . أأهل أنت لأكسفورد ؟ لن تراها ما حييت !

فقلت وأنا فى غمرة من الدهشة والتعجب :

— فهمت . . .

— أخرج . . .

وأيقنت أن المحاكمة قد تمت ، وأن الحكم قد صدر ، وليس ثمة من استئناف !

فخرجت أجر قدمىّ إلى حجرتى ، والمجلة فى يدى ، وألقيت بنفسى على المقعد وقد اعتلجت فى نفسى ضروب المشاعر وتلاطمت فى رأسى شتى الأفكار . . . يا للنكبة ! . . . أأقضى أيامى فى مدرسة أسيوط حبيساً ؟ وفيم هذا ؟ . . .

ووقعتْ عينى على صفحة المجلة ، فصدمتنى العلامة الحمراء ، وتركز بصرى فى رسم هزلى تبينت فيه صورة مشوهة لأبى تمثله فى لبوس المهرجين : طُرطور طويل ، وسراويل فضفاضة منتفشة مُفوَّفة ، وهو ماثل بباب أحد المسارح وبيده ناقوس يدقه قائلا :

« هلموا . . . هلموا . . . شاهدوا الراقصة المرَّاكشية العالمية فاطمة الساحرة . . . نجم الشرق وعروس الأحلام ! »

وانهلتُ على المقال أقرؤه ، ونظراتى تتواثب على الجمل والسطور ، وأنفاسى تتلاحق . . . وضربت رأسى بيدى ، وقد اتقدت عيناى . . . إنها قصة مما أفضيت به إلى صديقى الصحفى ليلة الحانة ، وإنها لتتضمن حادثاً لأبى حين كان يطلب العلم فى فرنسا ، وقد وقع فى حبائل راقصة مَرَّاكُشية تدعى فاطمة الساحرة . . . وذلك أنه قَبِلَ مرة أن يكون مهرجا لها فى إحدى قرى فرنسا ، فوقف أمام المسرح يجتلب لها الرواد !

وأكبر ما غاظنى من هذا المقال أن الصحيفة قدمته بالعبارة التالية :

« أدلى إلينا الشاب المهذب عبد المولى السيوطى بهذه القصة الواقعية الطريفة التى كان والده بطلها ، فننشرها راجين له مستقبلا زاهراً . . . »

وانكببت على يدى أعَضّها ، وخيل إلى أنى لو لمحت فى هذه اللحظة صديقى الصحفى لأشبعته لكماً وركلا ، ولمزقته إرْباً إرباً . . .

وتراخى الوجيه عبد المولى بك السيوطى فى جلسته ، ومسح شاربه المنتفش ، وأرسل بجشُؤة منكرة الصوت وغمغم :

— لست بمنكر أن إفضائى بهذه القصة إلى الصديق الصحفى قد أنجانى من المبيت ليلة على الأسفلت . . . ولكن . . .

فقلت على الفور .

— ولكن طارت منك أكسفورد !

ونظر الوجيه السيوطى فى عُرْضِ الفضاء نظراتٍ تائهةً ، وهو يهمهم :

— لشدَّ ما جار أبى فى حكمه !

وألقيت بنظرة على ساعة معصمى . . . لقد أبطأت عن موعدى فى الصحيفة التى أعمَلُ بها . . . إنى لأتمثل رئيس التحرير ومن حوله زبانيته يرتقبون مَقْدَمى وهم يُكنُّون لى ثورة جامحة . . . إن عمال صف الحروف وقوف ينتظرون ، وإن آلة الطبع معطلة متململة !

ولمعت فى خاطرى فكرة سرعان ما شملتنى بفرحة جياشة . . . فأمسكت بيد صديقى وجيه أسيوط وهززتها متحمساً وأنا أقول :

— أشكر لك . . . أشكر لك حسن صنيعك . . .

ونهضت على الفور مستأذناً ، فقال لى عبد المولى بك وعلى وجهه أمارات التوجس والريب :

— أى صنيع تشكره لى ؟

ولم يكد يتم سؤاله حتى أخذ بطرف ثوبى لايريد أن أفلت منه . . . وواصل حديثه فى شىء من الاهتياج :

— ماذا تقصِد ؟ . . . يبدو أنك معتزم . . .

وتأتأ بكلمات تطايرت من فمه غير مبينة . . .

وتضاحك عاطف بك مخاطباً عبد المولى بك :

— دعه يسترزق !

فأجابه بصوت متهدج :

— كيف يسترزق ؟ على حسابى ؟ والله لا أدعه يعيد المأساة . . . أألدغ من جحر الصحافة مرتين ؟

فأفلتّ من يده ، ووثبت إلى الطريق وثبة أبعدتنى عن متناوله ، ولكنها لم تبعد عن أذنى شتائمه ولعناته التى كان يصبها علىّ فى ثورة وحنق كأنها قذائف مدفع رشاش ! . . .

وجعلتُ أعدو متجهاً إلى دار الصحيفة ، وأمام عينى يرتسم بخط الثلث الكبير عنوان مقالى الذى أزمعت كتابته على الفور :

« كيف طارت منى أكسفورد ؟ »

محمود تيمور